أجمع الفرس والترك على كراهية العرب الذين عاملوهم بالدين ومكارم الأخلاق

قُـدّر على العرب أن يعيش علـى تخومهم أمتان مناهضتان ثقافيًّـا، وطوال 1400 عام مع الفرس، وألف عام نقريبًا مع الترك، لم نزل النظرة الاسـتعلائية والعنصريـة المفتعلة التي رأى بها الفـرس والأتراك العرب قائمة، ففـي نظرهم في نهاية الأمر أن العرب مجرد أمة بدوية لا تسـتحق رسالة الإسلام.

وقُـدّر على العرب أيضًا أن يتجرعوا الكراهية والعنصريـة والتعالي، ويتعاملوا بدينهم ومكارم أخلاقهـم العربيـة، فلا يمكن لأي باحـث حصيف أن يجد فـي الأدبيات العربية ما يؤسـس لكراهية الشعبين الفارسي أو التركي، بينما العكس صحيح، وجولة في كتب التراث أو المناهج الدراسية للترك والفرس تكشف حجم البغضاء التي تخرج من أفواههم.

يُجمِعون على الكراهية:

إذا وُجد أكثرُ قاسـم مشترك بين الترك والفرس فهو كراهية العرب واحتقارهم وتمنّي زوالهم، بل والتنسـيق لإبقائهم خارج سـلم الحضارة. ولعل المزاج الشـعبي والفلكلوري التركي والفارسـي يحملان سمات متشابهة في نظرتهم للإنسان العربي، وتحميله ذنوبًا لم يرتكبها في حقهما، بل وحتى التأخر والسقوط السياسي والحضاري حمّلوه للإنسان العربي.

الفرس يرون أن هزيمتهم في معركة القادسـية أدّت بهم الـى التراجع حضاريًّا، ودخولهم في مرحلة الصمت التي توصف -حسب زعمهم- بالصمت الطويل الذي استغرق 200 عام، منذ القادسية وحتى 250 للهجرة، ويفسرونه بأنه تسلُّط الثقافة العربية وطبعايانها في بلاد فارس بعد دخول الإسلام، ويعتقدون أنه دفعهم ثقافةً ومعمارًا ومجتمعًا للدخول في صمت طويل خوفًا من العنصر العربي.

الترك أيضًا يرون أن العرب خانوهم وطعنوهم في خاصرتهم بإعلانهم الاستقلال ببلدانهم عما يسمى السلطنة العثمانية، التي أتت بعد احتلال متفرق تجاوز في مجمله أكثر من أربعة قرون، سادها التأخـر والتجهيل والتتريك، وإذا كان ثمن مُخاصم أو معاتب أو متضرر فهم العرب الذين تأخّروا فعليًّا في التطور الحضاري بسـبب الاحتلال العثماني لبلدانهم، وتوجيه التعليم وأدوات التحضر إلى البلاد التركية الأصلية في الأناضول، مدنًا وقرى، بينما أُهمِل العرب أيّما إهمال.

لم تكن كراهية العرب في وجدان الإنسـان العامـي الإيرانـي والتركي مصادفـة أو مجرد آراء شـعبوية عابرة، بل ثقافة شـعوبية واستعلائية ممنهجـة ومترسـخة، حوّلهـا رجال السـلطة والمثقفون إلى ممارسة يومية في الشارع، وتجري على الألسنة.

> **شعوبية الفرس والترك ممنهجة ضد العرب.. تسير وفق تربية وخطط وتعليم**

على سـبيل المثال حرص المثقف الإيراني على ملء تدوين كراهية الإنسان العربي واصفًا إياه باليدوي آكل السـحالي، الذي جـرّا على الحضارة الساسـانية، وما نجده في التراث الفارسي الإيراني هو جـزء من مخطط طويل وراسـخ فـي العقل الإيراني لإفشـال العـرب وإعادتهم إلـى الصحراء مجرد بدو هائمين.

إن أي مُنصف يراجع المنشـور من الأدب الفارسي، سواء كان المعاصر أو المتقدم منه، يجد أن التراث الفارسي قائم على كراهية العربي وإزرائه، وكل ما يأتي منه دون غيره من الأعراق الأخرى المحيطة ببلاد فارس، وبنظرة سريعة لبعض الألفاظ الاستعلائية في الأدب الفارسي تجاه الإنسان العربي، نجدها لا تخرج عن الموبوئين القذرين البشعين الأغبياء ذوي الجلود السوداء.

وعند الأتراك نجد تشـابهًا فـي الكراهية والتعالي، فهم يصفون العرب بالشـحاذين (ديلنجي عـرب)، والمصريين بـ (كور فلا) أي الفلاحيـن الأجلاف، كما أن كلمة (بس عرب) تعنـي: العربي القذر، وألصقوا كل ما هو مدنى بالعرب، فعرفوا الرقيق والعبيد والحيوانات السوداء بلفظ "عربي"، أما أشهر عباراتهم فهي عرب خيانات، أي: العربي الخائن.

هي ليست ألفاظًا عابرة أو تعريفات وقتية، فما قيل قبل ألف عام في فارس والأناضول التركية لا يزال يتردد صداه للـيوم ضد العرب، ومنه تنطلق الحملات والسياسات، ومنه تخرج المواقف الصلبة والمضادة لكل ما هو عربي، إنها قواسـم مشتركة وترسبات ثقافية عميقة تتجذر في العقل والوجدان التركي والفارسـي، تقودهم إليها نظرة غير محقة وعنصرية فاشـية، لا يمكن أن تحفز الشـعب إلى التسامح، بل تخلق حالة من العداء المسـتدام والمشترك ينطلق من سهول الأناضول وخراسان إلى الفضاء العربي.

العرب وحدهم مَن يوصفون بألفاظ عنصرية:

بالرغم من أن الأتراك والفرس يقفان حاجزَين جغرافيَّين بين العرب وغيرهم من الشـعوب، إلا أن الأتراك والفرس ركزوا فوقيتهم وعنصريتهم للإنسـان العربي، حتى الإسـلام الذي جاء على لسان عربي وأُنزل على نبي عربي لم يَسْلَـم منهم، وحمَّل البعض منهم الإسلام مسؤولية تأخُّرهم، وحاولوا استلابه من عروبته وتفسريه تارة وتتريكه أخرى.

يشـرح المفكر الإيراني الأسـتاذ في جامعة طهران صادق زيبا العلاقـة الإيرانية بالعرب قائلًا: "اعتقد أن الكثير منا -يقصد الإيرانيين- يكرهون العرب، للأسـف الشديد الكثير منا كفرس عنصريين[1]"، ويضيف "الكثير من المثقفين الإيرانيين يُبغضون العرب، والكثير من المتدينين ينفرون منهم، إلا أن هذه الظاهرة أكثر انتشارًا وحِدّة بين المثقفين الإيرانيين".

الروائي صادق جوباك يرى "العربي" منافقًا ودميمًا ومتوحشًـا، ويعتبر أن "النفاق السامي" – نسـبة الى عِرق السـاميين- دمّر الذات الإيرانية وهزمها، ويُمرّر عبر نصوصـه أمثلة كهذه: "عليك أن تحترس في البصرة وتحرص على أغراضك هناك، فحالما تدير وجهك يسـرقك العرب، ليس هناك من لصوص أسوأ من العرب".

أما في الشـاهنامه" نفسها، وهي أُمّ التراث الفارسي، فقد وصل الانكشاف الحاقد على العرب إلى حد الاحتجاج على "الربب المقـدس" في غُلاه بعد هزيمة أجداده الفرس أمام العرب قائلًا: "لقد بلغ الأمر بالعربي ممن شرب لبن الإبل، وأكل الضباع للطموح إلى تاج الكيانين.. فأُفٍ لك يا فلك السماء".

استهداف العرب في الثقافة الفارسية ينكشف في إطلاق كلمات ومفردات بشعة، تدور أغلبها فـي التالي: لصوص، قُطّاع طرق، وحوش، غرباء، آكلو السـحالي، متطفلـون، مدمرون، متخلفون بلا حضارة، قادمون من الصحراء، أعراب، متوحشـون، قسـاة، متعطشـون للدماء، موبـوءون، قذرون، بشعون، وأخيرًا أصحاب الجلود السوداء.

وهو أمر لا يختلف عند الأتراك؛ إذ نقول الدكتورة هند أبو الشعر، في محاضرة نقلها عنها كتاب النهوض العربي ومواكبة العصر: "إن الصورة النمطية عن العرب في الكتب المدرسـية التركية تحتاج إلى مراجعة واعية؛ لأن الصورة الحالية لا تخدم العلاقات المسـتقبلية"، وهنا نلخص أبو الشعر حالة كراهية ممنهجة يتم زرعها في النشء التركي، فكيف سـيتعامل وكيف سينظر شاب تركي إلى العالم العربي، وهو ناشـئ طوال حياته الدراسـية على مناهج تطبع فيه كراهية العرب، وتحملهم مسؤولية خسارة أمّته لموقعها السياسي والعسكري، كما أن القوميين الأتراك ذهبوا إلى ربط سبب تأخُّر الدولة العثمانيـة والأتراك بالتراث الإسـلامي، الذي أخذه الأتـراك وتقلوه عن العرب، وشـرعوا بإلغاء وحظر المظاهر الإسـلامية من الفضاء العام، التي رأوها مرتبطة بالتأخر، إن مثل هذه الإشارات ليست عابرة، بل هي ترسيخ للتعالي والكراهية لا يمكن أن تُزال إلا عبر مشروع يستمر لعقود.

المراجع:

1) جوبـا بلندل، صورة العرب في الأدب الفارسـي الحديث (دمشـق: قدمس للنشر والتوزيع، 2007).

2) خالد بشير، كيف ينظر الفُرس إلى العرب؟ موقع حفريات (2020/1/8)، على الرابط: https://2u.pw/Zsk0xKf.

3) مجموعة مؤلفين، النهوض العربـي ومواكبة العصر، مراجعة: صلاح جرار (د.م: المؤسسة العربية، د.ت).

4) نبيـل العنـوم، صـورة العرب فـي الكتب المدرسـية الإيرانية . دراسـة اسـتقصائية علمية (عمّان: مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية ودار عمار للنشر، 2015).